مجلة البحث العلمي الإسلامي

Journal of Islamic Scientific Research

(JOISR)

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

المجلد 23 – العدد 86 – اكتوبر 2026

Volume 23 – issue 86 – October 2026

Pages 15 - 32 الصفحات 15 - 32

آيات محنة يونس عليه السلام وحسن عاقبته

– دراسة تحليليّة بلاغيّة مقارنة–

The Trial of Jonah (Peace Be Upon Him) and His Blessed End in the Quranic Verses

–An Analytical, Rhetorical, and Comparative Study–

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-8601

محمد رازق محمد فواز

Mohamed Razik Mohamed Fawaz

باحث في مرحلة الدكتوراه، قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية والدراسات الإنسانية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

Ph.D. Researcher, Department of Literature and Rhetoric

Faculty of Arabic Language and Human Sciences, Islamic University of Madinah

Email: mrmfawaz2008@gmail.com

Date of Receipt - 2026/07/15 – تاريخ الاستلام

Date of Acceptance - 2026/08/08 – تاريخ القبول

إعداد: محمد رازق محمد فواز
باحث في مرحلة الدكتوراه، قسم الأدب والبلاغة
كلية اللغة العربية والدراسات الإنسانية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

Mohamed Razik Mohamed Fawaz
Ph.D. Researcher, Department of Literature and Rhetoric
Faculty of Arabic Language and Human Sciences, Islamic University of Madinah
Email: mrmfawaz2008@gmail.com

آيات محنة يونس عليه السلام وحسن عاقبته

– دراسة تحليليّة بلاغيّة مقارنة–

The Trial of Jonah (Peace Be Upon Him) and His Blessed End in the Quranic Verses

-An Analytical, Rhetorical, and Comparative Study-

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-8601

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٦/٧/١٥ / تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٨/٨

مستخلص الدراسة

تتناول هذه الدراسة آيات محنة يونس عليه السلام وحسن عاقبته بدراسة تحليلية بلاغية مقارنة في النظم القرآني، وتهدف إلى استجلاء الأسرار البلاغية والدلالية في عرض قصة نبي الله يونس عليه السلام في سور (الأنبياء، والصافات، والقلم)، وبيان وجه التناسب بين سياق كل سورة، وصياغة المحنة وصولاً إلى حسن العاقبة والنجاة، واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي البلاغي المقارن لتتبع البنى الأسلوبية وموازنة الفروق الدقيقة بين صيغ الخطاب وألقاب الداعية في السور الثلاث.

خلصت الدراسة إلى أن التغاير الأسلوبي بين مواضع القصة خاضع لسبك بياني معجز؛ حيث ركزت سورة الأنبياء على الجانب النفسي (الندم والتوبة) لتناسب إجابة الدعاء، وركزت سورة الصافات على التفصيل الحركي والزمني وعناية اللطف الإلهي لتناسب مقام الاصطفاء والتسبيح، بينما التزمت سورة القلم بالإيجاز الشديد والوعظ لتنبيه النبي ﷺ وتحذيره من

الاستعجال. كما كشفت الموازنة بين لقبي (ذو النون) و (صاحب الحوت) أن الأول جاء في سياق التشريف والثناء والقدوة، بينما جاء الثاني في سياق العظة والتربية والتحذير من أثر العجلة.

الكلمات المفتاحية: حسن العاقبة، المحنة، يونس عليه السلام، دراسة بلاغية، ذو النون، صاحب الحوت.

Abstract

This study examines the verses depicting the trial of Jonah (peace be upon him) and his blessed end through an analytical, rhetorical, and comparative approach within the Quranic discourse. It aims to elucidate the rhetorical and semantic subtleties in presenting the narrative of Prophet Jonah across three chapters: Al-Anbiya, As-Saaffat, and Al-Qalam. Furthermore, it demonstrates the structural symmetry and contextual harmony between the thematic flow of each Surah and the phrasing of the ordeal, leading up to deliverance and a favorable outcome. The study employs a comparative rhetorical-analytical methodology to track stylistic structures and weigh the nuanced differences between textual formulations and the epithets attributed to the Prophet in the three chapters.

The study concludes that the stylistic variations across these textual contexts are governed by a miraculous, eloquent arrangement. Surah Al-Anbiya emphasizes the psychological dimension (remorse and repentance) to align with the theme of answered supplication. Surah As-Saffat focuses on kinetic and temporal details, alongside the manifestations of Divine Grace, fitting the context of election and glorification. Meanwhile, Surah Al-Qalam adheres to strict conciseness and admonition to counsel the Prophet Muhammad ﷺ and caution him against haste. Additionally, the comparative analysis between the titles Dhu al-Nun (The Companion of the Whale) and Sahib al-Hut (The Companion of the Fish) reveals that the former was employed in contexts of honor, praise, and emulation, whereas the latter appeared in contexts of moral lesson, discipline, and warning against the consequences of impatience.

Keywords: Blessed End, Jonah (peace be upon him), Rhetorical Study, Dhu al-Nun, Sahib al-Hut.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيناً محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن تدبر آيات القرآن الكريم واستجلاء أسرارها البلاغية يُعد من أجلّ العلوم وأشرفها، ومن بين القصص القرآني المليء بالدروس والعبر، تأتي قصة نبي الله يونس عليه السلام كنموذج فذّ يُظهر بجلاء كيف يتحول الكرب والابتلاء إلى نجاة وتمكين بفعل الاستغفار والتسبيح والالتجاء الصادق إلى الله جل وعلا.

تتجلى البلاغة القرآنية في عرض هذه القصة من خلال تنوع الأساليب وتغاير الصياغات في مواضع ورودها، حيث أُعيدت صياغة المحنة في سياقات متعددة لتخدم المقاصد الكلية لكل سورة، ويأتي هذا البحث ليسلط الضوء على «مراحل المحنة وحسن العاقبة» في قصة يونس -عليه السلام- من خلال دراسة بلاغية مقارنة بين السور التي احتضنت هذه التجربة الإيمانية (الأنبياء والصافات والقلم).

أولاً: أهمية الموضوع

تنبع أهمية هذه الدراسة من عدة اعتبارات علمية وبلاغية، أبرزها:

١. القيمة العلميّة والبيانيّة: إبراز الإعجاز البلاغي والنظم القرآني في التنقل بين الألفاظ والصياغات التعبيرية؛ للتدليل على أنه لا يوجد تكرار محض في القرآن الكريم، بل كل لفظة تؤدي غرضاً مقامياً وسياقياً خادماً لمقاصد السورة.

٢. الربط بين البلاغة والهداية القرآنية: إظهار التلازم الوثيق بين الجمال البياني والأبعاد التربوية والروحيّة؛ حيث يستلهم القارئ قواعد التضرع وسنن الله في كشف الكروب وتحقيق حسن العاقبة عبر تحليل التراكيب القرآنية.

٣. الدقة الدلالية في الألقاب والنظائر: معالجة الفروق الأسلوبية بين ألقاب الداعية (ذي النون، صاحب الحوت)، وبيان التوجيه الصوتي والتركيب المقامي الذي يمنع التباس المعاني ويجلي دقة السبك القرآني.

ثانياً: الدراسات السابقة

تناول العديد من البحوث والدراسات قصة يونس عليه السلام في القرآن الكريم من زوايا مختلفة: تفسيرية ودعوية وبلاغية، ومن أبرز هذه الدراسات دراستان بلاغيتان وشيكتا الصلة بموضوع هذا البحث، هما:

١. **مناسبة القصص القرآني لمقاصد السور: قصة يونس عليه السلام أنموذجا**، د. مريم نافل الدويلة، جامعة القاهرة: مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، العدد:

٩٩ (٢٠٢٠).

ركزت هذه الدراسة -كما يظهر من عنوانها- على مناسبة قصة يونس عليه السلام لمقاصد السور الثلاث: الأنبياء والصافات والقلم، ولم تركز على مراحل المحنة وحسن العاقبة بدراسة بلاغية.

٢. **قصة يونس عليه السلام في القرآن الكريم دراسة بيانية في المباني والمعاني**، د. أسامة عبد الوهاب حمد الحياني، ود. ماجد ياسين حميد الدليم، مجلة الجامعة الإسلامية - ملحق العدد ١٨٣ (الجزء الثالث).

هذه الدراسة أقرب إلى كونها دراسة في علم المعاني، حيث ركزت على مفردات آيات القصة بدراسة بلاغية.

ما تميزت به الدراسة الحالية عن الدراستين السابقتين:

تأتي هذه الدراسة لتستكمل الـ قص في المكتبة البلاغية من خلال:

١. إفراد موضوع «حسن العاقبة» بالتتبع التحليلي البلاغي المقارن في السور الثلاث.

٢. تقديم موازنة بيانية دقيقة بين ألقاب نبي الله يونس (ذو النون / صاحب الحوت) مدعومة بالتحليل المعجمي والصوتي والمقامي، مع بيان النكتة الصوتية المتعلقة بفاتحة سورة القلم.

ثالثاً: مشكلة البحث وأسئلته

تكمن مشكلة الدراسة في محاولة الإجابة عن التساؤلات البلاغية التالية:

١. كيف وظّف التعبير القرآني الأساليب البلاغية لتصوير مراحل محنة يونس عليه السلام؟

٢. ما وجه التناسب بين سياق كل سورة (الأنبياء، الصافات، القلم) وبين طريقة عرض القصة والغاية البلاغية منها؟

٣. ما الأسرار الدلالية الكامنة وراء اختلاف الألقاب والصفات الموجهة لنبي الله يونس في السور المختلفة؟

رابعاً: منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج التحليلي البلاغي المقارن، وذلك من خلال تتبع الآيات، واستخراج الصور الفنية والبيانية، ومقارنة الفروق الدقيقة بين السور الثلاث بناءً على سياقاتها التفسيرية ومقاصدها العامة.

خامساً: خطة البحث:

يشتمل البحث على: مقدمة، وستة مطالب، وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة:

وتشتمل على: أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، ومشكلة البحث وأسئلته، ومنهجه.

المطلب الأول: السياق العام للقصة والنصوص القرآنية الواردة فيها.

المطلب الثاني: التحليل البلاغي والبياذ لآيات القصة في سورة الأنبياء.

المطلب الثالث: التحليل البلاغي والبياني لآيات القصة في سورة الصافات.

المطلب الرابع: التحليل البلاغي والبياني لآيات القصة في سورة القلم.

المطلب الخامس: دراسة مقارنة وموازنة بلاغية بين السور الثلاث.

المطلب السادس: موازنة بلاغية ودلالية بين لقبي: (ذو النون) و(صاحب الحوت)

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

المطلب الأول: السياق العام للقصة والنصوص القرآنية الواردة فيها

وردت قصة يونس عليه السلام في ثلاث سور من القرآن الكريم: الأنبياء، والصافات، والقلم، وهي تحمل في طياتها العديد من الدروس والعبر لكل من يتأملها، مؤكدة على أن حسن العاقبة هو نصيب من يتوب ويستغفر، ويلتجئ إلى الله، وتتجلى البلاغة في آيات القصة في كيفية عرض وتصوير المراحل المختلفة من محنة يونس عليه السلام، بدءًا من خطئه واستغفاره إلى نجاته وحسن عاقبته، وذلك عبر أساليب بلاغية مختلفة مناسبة لسياق كل سورة وأهدافها ومقاصدها، ولتحقيق غرض الدراسة، نستعرض النصوص القرآنية الكريمة ومناسبة ورودها في كل سورة:

أولاً: آيات القصة:

سورة الأنبياء: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الأنبياء:٨٧-٨٨].

سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١٤٨﴾﴾ [سورة الصافات:١٣٩-١٤٨].

سورة القلم: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾﴾ [سورة القلم:١].

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة القلم:٤٨-٥٠].

ثانياً: مناسبة ورود القصة وسياق السور:

عندما نتأمل السياق العام للسور التي وردت فيها القصة ومناسبة ورودها نجد أن:

١- سورة الأنبياء: تُعنَى بقصص الأنبياء ودعوتهم لله، مع التأكيد على رحمة الله ونصره للمؤمنين في الشدائد، فقصة يونس تأتي كأنموذج حي لرحمة الله واستجابته لدعاء عباده المخلصين، وهو يتناسب مع ختام الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فالغرض هو تعليم الأمة أن النجاة من الكرب تتحقق بالدعاء، الإخلاص، والرجوع إلى الله، كما فعل يونس في الظلمات.

٢- سورة الصافات: تركز على موضوع الاصطفاء الإلهي للأنبياء ودورهم في هداية البشر، وتأتي قصة يونس لتظهر أن الاصطفاء الإلهي للأنبياء لا يعني عصمتهم من الأخطاء، لكنهم يعودون سريعاً إلى الله بالتسبيح والاعتراف بالذنب، والتركيز على التسبيح كسبب للنجاة يتناسب مع غرض السورة في تعليم الأمة أهمية ذكر الله وطاعته، والسورة تسلط الضوء على عظمة الله

ورحمته، إذ يعود يونس إلى رسالته بعد محنته، مما يبرز قوة الله في الإصلاح والابتلاء.

٣- سورة القلم: تتحدث عن التحديات التي واجهها النبي محمد ﷺ في دعوته، مع أمره بالصبر والثبات أمام تكذيب المشركين، والإشارة إلى يونس (صاحب الحوت) تأتي كتحذير للنبي ﷺ من الاستعجال في ترك الدعوة أو الاستياء من قومه كما فعل يونس، والتركيز على «نعمة ربه» يُبرز أن النجاح في الدعوة يعتمد على عون الله ثم صبر الإنسان، والقصة هنا تتناسب مع غرض السورة في تعليم النبي ﷺ والمؤمنين التحلي بالصبر وعدم الاستعجال في مواجهة التحديات، فالقصة في كل سورة تخدم سياقها وتدعم الرسالة العامة للآيات التي وردت فيها، مما يعكس تناسق القرآن وإعجازه البلاغي.

المطلب الثاني: التحليل البلاغي والبياني لآيات القصة في سورة الأنبياء.

الإيجاز والرمزية في اللقب: في قول الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ [سورة الأنبياء:٨٧]. أي واذكر ذا النون، وذو النون هو يونس عليه السلام، والنون هو السمكة[١]، وجاء ذكر ذي النون عطفاً على أيوب ثم إسماعيل وإدريس وذي الكفل في جملة من خصوا بالذكر من الأنبياء في هذه السورة لأجل ما في قصته من الآيات التي فيها الالتجاء إلى الله والندم على ما صدر منه من الجزع واستجابة الله تعالى له، وفي وصف يونس عليه السلام بذي النون من الإيجاز والإشارة والرمزية ما فيه؛ إذ يختزل لنا القصة في كلمتين، ويحيلنا إلى تفاصيل القصة في مواضعها الأخرى.

صيغة المغاضبة: المغاضبة في قوله تعالى: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ مفاعلة أي حصول الغضب من الطرفين، وذلك أن يونس عليه السلام خرج غضبان من قومه أهل (نينوى) إذ أبوا أن يؤمنوا بما أرسل إليهم به وهم غاضبون من دعوته، فالمغاضبة هنا مفاعلة، وقيل: إنه أوحي إليه أن العذاب نازل بهم بعد مدة فلما أشرفت المدة على الانقضاء آمنوا فخرج غضبان من عدم تحقق ما أنذرهم به، فالمغاضبة حينئذ للمبالغة في الغضب لأنه غضب غريب[٢].

دلالة «نقدر»: معنى قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ ظن أن لن نضيق عليه بحبسه في بطن الحوت، فقدر هنا بمعنى ضيّق كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ [سورة الرعد:٢٦]، وقيل نقدر هنا بمعنى نحكم مأخوذ من القدر، أي ظن أن لن نؤاخذه بخروجه من بين قومه بدون إذن من الله[٣]، وليس معناه عدم القدرة عليه كما أكد ابن عباس لمعاوية رضي الله

(١) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ١٧٨/٢٢.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)، (تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م)، ١٧/ ١٣٠-١٣١ (بتصرف).

(٣) انظر: ابن قتيبة الدينوري، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، (دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م، ٢٨٧، ومحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة: دار هجر،

عنهم هذا الفهم البلاغي موضحا: «هذا من القدَر لا من القدرة»، حين سأله معاوية مستغربا: «أو يظن نبي الله ألا يقدر عليه؟»[1] إذ لا يُتصور لنبي أن يظن عجز الله عن القدرة عليه.

التصوير الفني للكرب (إيجاز الحذف): قوله: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ فيه إيجاز بالحذف، أي: فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت، فنادى... إلخ[2]، وهذا التعبير يصور المعاناة الشديدة التي عاشها يونس عليه السلام، إذ الظلمات هنا تشمل ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل[3]، كناية عن تعدد أنواع الكرب، مما يوحي بشدة الكرب والضيق.

النداء والتوبة: استخدام الفعل «نادى» يوحي بحالة من اليأس الممزوج بالأمل، حيث يتضرع يونس لله رغم شدة الموقف، وجملة: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ﴾ تفسيرية مسبوقة بقوله: فنادى، وهذا الدعاء يعبر عن توحيد خالص ويعكس الإقرار بقدرة الله سبحانه وتعالى وحده على النجاة، ويعكس أيضاً تفويض الأمر كله إلى الله، وقوله: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مبالغة في اعترافه بظلم نفسه؛ حيث أسند إلى نفسه فعل الكون الدال على رسوخ الوصف، وجعل الخبر أنه واحد من فريق الظالمين، وهو أدل على أرسخية الوصف، وتقديمه الاعتراف بخطئه، وهو تعبير يحمل في طياته التذلل والانكسار أمام الله، مما يعد بداية لتحول الأحداث نحو النهاية الحسنة.

سرعة الاستجابة والعموم: في قول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ «الفاء تفيد الترتيب والتعقيب، أي: إن الاستجابة جاءت مباشرة بعد دعاء يونس، والسين والتاء في «فاستجبنا له» تدلان على سرعة الإجابة، وهي إجابة توبته مما فرط منه، والإنجاء وقع حين الاستجابة إذ الصحيح أنه ما بقي في بطن الحوت إلا ساعة قليلة، وعطف بالواو هنا بخلاف عطف فكشفنا على فاستجبنا»[4]، ولفظ «الغمّ» في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ يعبر عن الحزن والضيق الشديد، مع إضفاء الطابع النفسي، مما يجعل النجاة أكثر تأثيراً وإحساساً بالفرج، وجملة ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تذييل، واستخدام «كذلك» يشير إلى أن نجاة يونس ليست حالة استثنائية، بل قاعدة عامة لكل المؤمنين الذين يتوجهون إلى الله بإخلاص، وفي هذا تعريض للمشركين من العرب بأن الله منجي المؤمنين من الغم والنكد الذي يلاقونه من

٢٠٠١م (٣٧٨/١٦)، والراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق :دار القلم، الدار ١٤١٢هـ)، ٦٥٩، ومحمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (الرياض: دار عطاءات العلم، ٢٠١٩ م)، ٤/ ٨٥٣.

(١) انظر: محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (مع حاشية الطيبي، شرف الدين الحسين)، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ٢٠١٣ م)، ١٠/ ٣٩٢.

(٢) أبو السعود، محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود) (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ٨٢/٦.

(٣) انظر: تفسير ابن عاشور (١٣٣/١٧)، والشنقيطي، أضواء البيان (٢٤٢/٤)

(٤) تفسير ابن عاشور (١٣٣/١٧).

سوء معاملة المشركين لهم في بلادهم.

المطلب الثالث: التحليل البلاغي والبياني لآيات القصة في سورة الصافات

التأكيد ومفهوم الإباق: جُملة ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ مؤكدة بـ «إنّ» واللام؛ لأن إثبات الرسالة أمر ينكره كثير من الناس، والشيء الذي ينكر يجب أن يؤكد بما يدل على ثبوته[١]، و(إِذْ) في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ متعلقة بالمرسلين، أي لمن المرسلين في هذه الحال، أي: إن إباقه لم يسلبه الرسالة، ولما أثبت رسالته بين حالاً من حالاته وهو إباقه عليه الصلاة والسلام[٢]، ومعنى «أبق»: هرب، وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاق وصف الإباق عليه، ففعل أبق هنا استعارة تمثيلية، شبهت حالة خروجه من البلد الذي كلفه ربه فيه بالرسالة تباعداً من كلفة ربه بإباق العبد من سيده الذي كلفه عملا، وقيل الإباق: الفرار من السيد بحيث لا يهتدي إليه طالب، ولما كان عليه السلام هرب من قومه بغير إذن ربه إلى حيث طلبوه فلم يجدوه استعير الإباق لهربه باعتبار هذا القيد[٣].

وصف الفلك والقرعة: وصف السفينة بـ ﴿ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ (المملوءة بالراكبين[٤])، بـرر بلاغياً اللجوء للمقارعة لعدم وجود سعة، وقوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ المساهمة: المقارعة، والمدحض: المغلوب المقروع، والدحض: المزلق عن مقام الظفر، وأصل الدَّحْض: الزلق في الماء والطين، فمعنى الآية: فقارع أهله فصار من المغلوبين بالقرعة[٥]، و«من» هنا للتبعيض، وهذا يدل على أن القرعة أصابته وأصابت غيره أيضا[٦]، وقال ابن عاشور: «تفريع «فساهم» يؤذن بجمل محذوفة تقديرها: فهاج البحر وخاف الراكبون الغرق فساهم، والإدحاض: جعل المرء داحضا، أي زالقاً غير ثابت الرجلين وهو هنا استعارة للخسران والمغلوبية»[٧]، وقال البقاعي في تفسير قوله: «﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾: لما آل وقوع القرعة عليه إلى رميه من السفينة من محل علو إلى أسفل، عبر عن ذلك بما يدل على الزلق الذي يكون من علو إلى سفل فقال: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾»[٨]، هذا المشهد يعكس الحظ العاثر ليونس عليه السلام،

---

(١) محمد بن صالح العثيمين، ، تفسير القرآن الكريم: سورة الصافات، (الرياض: دار الثريا، ٢٠٠٣م)، ٢٩٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ) ٥/ ١٨، وشهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي) (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م) ١٢/ ١٣٧، وتفسير ابن عاشور ٢٣/ ١٧٢.

(٤) تفسير ابن عاشور ٢٣/ ١٧٣.

(٥) انظر: ابن قتيبة، غريب القرآن ٣٧٤، وتفسير الطبري ١٩/ ٦٢٥، والكشاف مع حاشية الطيبي ٢٠١/١٣، وتفسير أبي السعود ٧/ ٢٠٥.

(٦) انظر: تفسير العثيمين: الصافات ٢٩٨.

(٧) تفسير ابن عاشور ١٧٣/٢٣، ١٧٣/٢٣.

(٨) برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٨٤م)، ١٦/ ٢٩٢.

حيث صُوِّرت القرعة كحدث مصيري سريع، ويمهد للحدث التالي.

دقة اللفظ في «التقمه»: قوله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾ فسر المفسرون الالتقام بالبلع والابتلاع، قال البقاعي: «﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ﴾ أي ابتلعه كما تبتلع اللقمة»[١]، وقال ابن عاشور: «حوت عظيم يبتلع الأشياء ولا يعض بأسنانه»[٢]، وذهب الدكتور محمد راتب النابلسي إلى أن «التقمه» ليس معناه ابتلعه، فكلمة التقم هنا لها دلالتها الخاصة، قال إن هذا الحوت الأزرق على ضخامته، بلعومه لا يبلع إلا هذه الكائنات الدقيقة؛ فإذا دخل فمه أي شيء كبير لا يبتلع، ولذلك بقي سيدنا يونس عليه السلام في فمه كاللقمة، واستعرض النابلسي رأى علماء الحيوان في الحوت: أن لسان الحوت يستطيع أن يقف عليه أكثر من رجل والفم مغلق، مرتاحين بدون أي مضايقة!؛ بمعنى: أن سيدنا يونس كان جالساً بما يشبه الغرفة الواسعة المكيفة، ولهذا قال الله عزّ وجل: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ﴾؛ يعني لا هو قادر على بلعه، ولا مضغه، لأنه (أهتم) أي: ليس له أسنان، والمعروف أن الحوت يتنفس بالأكسجين ولذا فهو يرتفع فوق سطح الماء مرة كل ١٥ دقيقة، فالتقمه غير فابتلعه، الدلالة القرآنية هنا دقيقة تماما، بل في غاية الدقة، ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ﴾ تعني: بقي كلقمة في فم الحوت، لا يستطيع أن يبلعها، ولم يلفظها مباشرة[٣]، وقد رجح غيره من العلماء المعاصرين تفسير الالتقام بالابتلاع استناداً إلى أقوال المفسرين والأحاديث الواردة في أن يونس عليه السلام استقر في بطن الحوت[٤]، واستنباطاً من قوله تعالى: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤﴾.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ داخل في الملامة على أن بناء أفعل للدخول في الشيء، نحو: أحرم إذا دخل الحرم، أو آت بما يلام عليه، على أن الهمزة فيه للصيرورة، نحو: أغد البعير أي صار ذا غدة، فهو هنا لما أتى بما يستحق اللوم عليه صار ذا لوم، أو مليم نفسه على أن الهمزة فيه للتعدية نحو أقدمته والمفعول محذوف، وتفسيره بالمسيء والمذنب فبيان لحاصل المعنى[٥]، وقال الطبري: «مليم» مكتسب اللوم، يقال: قد ألام الرجل، إذا أتى ما يُلام عليه من الأمر وإن لم يُلَم»[٦]، قال ابن عثيمين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾: «ليس في حال لا يلام عليها حتى

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير ابن عاشور ٢٣/ ١٧

(٣) انظر: محمد راتب النابلسي، قصة سيدنا يونس والحوت تثبت دقة القرآن وعظمته (محاضرة في تفسير سورة الصافات).

(٤) منها حديث: «دَعْوَةُ ذي النُّونِ، إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ». رواه الترمذي في سننه، في أبواب الدعوات، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، (مصر: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥م)، ٥/ ٥٢٩ (٣٥٠٥)، وأحمد في المسند، تحقيق أحمد شاكر (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٥م)، ٢١٨/٢ (١٤٦٢)، وصحح الحديث أحمد شاكر في تحقيق المسند، والألباني في صحيح الترمذي (٣٥٠٥).

(٥) تفسير الألوسي (بتصرف) ١٢/ ١٣٧.

(٦) تفسير الطبري ١٩/ ٦٢٦

يقال: إن في هذا ظلماً له أو سفهاً في حقه! بل التقمه الحوت في حال هو مستحق فيها لذلك؛ ولهذا قال: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾»[1].

الامتناع والوجود (الخلاص بالتسبيح): «لولا» في قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ حرف امتناع لوجود، أي: امتنع بقاؤه في بطن الحوت لوجود التسبيح، وهو يبرز الفرق بين حالتين: التسبيح الذي أدى إلى النجاة، وحالة أخرى كان يمكن أن تؤدي إلى الهلاك، ويشمل قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ كثرة عبادة يونس لربه، وتسبيحه، وتحميده في وقته السابق، وفي بطن الحوت حيث قال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. اللام في «للبث» في قوله تعالى: ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ واقعة في جواب لولا، وعبر بالجمع في (يبعثون)؛ لإفادة عموم البعث، فهذه الآية تكشف عن أهمية التسبيح وذكر الله في الخلاص من الأزمات، ولولا تسبيح يونس لله، لما نجا من بطن الحوت، ولصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة.

مشهد النجاة واللطف الإلهي: الفاء في قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ فصيحة؛ لأنها تفصح عن كلام مقدر دل عليه الآية السابقة، فالتقدير: فاستجاب الله له ونجاه بسبب تسبيحه كما في سورة الأنبياء، فلفظه الحوت وقاءه، وحمله الموج إلى الشاطئ، وأسند نبذه إلى الله؛ لأن الله هو الذي سخر الحوت لقذفه من بطنه إلى شاطئ لا شجر فيه، وأتي بصيغة الجمع من باب التعظيم، وذلك لكثرة وكمال صفاته تعالى عظم نفسه، فجملة ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ تعبر عن إخراجه بطريقة مباشرة وقوية من بطن الحوت وهو في حالة ضعف تام، و﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ تصوير لمكان مكشوف لا حماية فيه، مما يعكس حالة يونس من الانكشاف والضعف بعد خروجه من بطن الحوت، واستخدام كلمة «سقيم» يبرز حالة الضعف البدني التي ألمت به بعد التجربة العصيبة، وحاجته الماسة للعناية الإلهية.

فبعد مشهد القوة (نبذ يونس)، تأتي مشاهد اللطف والرعاية الإلهية: ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ وتعدية فعل (أنبتنا) بحرف (على)، أفاد أن شجرة اليقطين مستعلية عليه فوقه مظلة له، كما يطنب البيت على الإنسان، إشارة إلى لطف الله وعنايته بيونس عليه السلام بعد نجاته، حيث أمده بالشجرة لتظله وتغذيه، وهذه الشجرة (شجرة اليقطين) هي -كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما- شجرة القرع، وهي لعظم ورقها وبرد ظلها ونعومة ملمسها وأن الذباب لا يقربها تجمع بين الظل والطعام والدواء، مما يعكس رحمة الله بنبيه يونس عليه السلام[2].

بلاغة الأرقام وعودته للرسالة: ومما زاده الله فضلاً وكرامة أن أعاده الله إلى قومه ورزقه القبول والاستجابة منهم، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ

(١) تفسير العثيمين: الصافات ٣١٢

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٩/ ٦٣٤، والبقاعي، نظم الدرر ١٦/ ٢٩٥.

إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ اختلف المفسرون في «أو يزيدون « هل (أو) بمعنى بل للإضراب الانتقالي، أم هي للتحقيق، أم للإبهام، أم للتخيير، أم للإباحة، فقد رجح بعض العلماء أن (أو) هنا للتحقيق، وليست للإضراب، أي إن لم يزيدوا على مئة ألف، لم ينقصوا، فكأن ما بعد (أو) لتأكيد ما قبلها، وليس للزيادة عليه[1]، ورجح الزمخشري أن معنى ﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ في تقديركم أنتم، إذا رآها الرائي قال هي مئة ألف أو أكثر والغرض الوصف بالكثرة[2]، لأن من المتوقع زيادة العدد بعد الإحصاء وليس النقصان، وفيه نكتة جليلة وهي الانتقال من الأدنى إلى الأعلى لما له من الوقع في النفس ولفت النظر إليه بخلاف ما إذا أخبر بالأعلى من أول الأمر[3]، والفاء في قوله: ﴿فَـَٔامَنُواْ﴾ للتعقيب العرفي؛ لأن يونس عليه السلام لما أرسل إليهم ودعاهم، امتنعوا في أول الأمر، فأخبرهم بوعيد بهلاكهم، ثم خافوا فآمنوا، ومعنى ﴿فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أبقيناهم إلى حين، وهذا الحين هو وقت آجالهم التي قدرها الله لهم[4]، فالآية تصور الانتقال السريع من مشهد ضعف يونس عليه السلام إلى مشهد عودته إلى الرسالة، مما يدل على التكريم الإلهي له، والعدد الكبير «مئة ألف أو يزيدون» يوحي بعظمة المهمة التي كلف بها يونس عليه السلام بعد نجاته وكرامته عند الله.

المطلب الرابع: التحليل البلاغي والبياني لآيات القصة في سورة القلم.

إيجاز القصة المكثف:

قول الله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾﴾ يحمل دلالات بلاغية عميقة تعكس براعة التعبير القرآني في الإيجاز، وقد اختُزلت القصة الكاملة ليونس عليه السلام في كلمات معدودة: (صاحب الحوت) و(نادى وهو مكظوم)، وتعبير «ولا تكن» يحمل نبرة تحذيرية للنبي ﷺ تركز على تفادي استعجال النصر أو الضيق من تأخر الاستجابة، لكنه جاء بأسلوب رقيق بعيد عن العتاب الشديد، مما يعكس مقام النبي ﷺ العالي عند الله، ووصف يونس عليه السلام بـ «صاحب الحوت» بدلاً من اسمه يعكس بلاغة القرآن في التركيز على الحدث المحوري، أي دخوله في بطن الحوت، الذي يُعد العبرة الأساسية في القصة.

دلالة «مكظوم»: قوله: ﴿إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾﴾ يلخص البلاء الذي تعرض له يونس ومعاناته النفسية دون الحاجة إلى تفصيل طويل، مع ترك المجال للقارئ للتفكر في بقية القصة، وكلمة «مكظوم» غنية بالمعاني والدلالات، فهي ترمز إلى الاختناق والضيق النفسي والحزن العميق إضافة إلى احتباسه في بطن الحوت، مما يعكس شدة البلاء[5].

---

(١) انظر: تفسير العثيمين: الصافات ٣٠٥

(٢) انظر: الكشاف مع حاشية الطيبي ١٣/ ٢٠٥.

(٣) محيي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه (دمشق: دار الإرشاد، ١٤١٥هـ) ٨/ ٣١٥.

(٤) تفسير العثيمين: الصافات ٣٠٥

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ١٩٩)، والبقاعي، نظم الدرر ٢٠/ ٣٣٢، والشنقيطي، أضواء البيان ٤/ ٨٥٧.

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة القلم:٤٩-٥٠].

التدارك والاجتباء: في قوله: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ لولا حرف امتناع لوجود، و«التدارك: تفاعل من الدرك بالتحريك وهو اللحاق، أي أن يلحق بعض السائرين بعضا وهو يقتضي تسابقهم وهو هنا مستعمل في مبالغة إدراك نعمة الله إياه»[١]، والتدخل السريع في الوقت المناسب لإنقاذه، وكلمة «نعمة» تشمل العفو والرحمة والتوبة[٢]، «وتنكير نعمة لـ تعظيم لأنها نعمة مضاعفة مكررة»[٣]، وجواب لولا قوله: ﴿لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ أي: لكنه نبذه وهو غير مذموم، كما قال في الصافات ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [سورة الصافات: ١٤٥]، والمنفي هو الذم لا نبذه بالعراء، لأن المعتمد فيه على الحال لا على النبذ مطلقا، بل بقيد الحال[٤]، واللام في ﴿لَنُۢبِذَ﴾ لام القسم للتحقيق لأنه خارق للعادة فتأكيده لرفع احتمال المجاز[٥]، «ولما كان التقدير: ولكنه تداركه بالنعمة فلم يكن في نبذه ملوماً، سبب عنه قوله:[٦] ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وهذا الانتقال من حالة «الذم» إلى «الاجتباء» يمثل صورة تحول نفسي وروحي عظيم، حيث يعكس قدرة الله على تبديل الحال، وكلمة «اجتباه» تعني الاختيار بعناية، مما يُبرز تكريم الله ليونس بعد محنته، و﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ تصوير التحول إلى الصلاح يعكس عملية تطهير وترقية روحية نتيجة التوبة، هذا التعبير يُظهر أن المحنة كانت وسيلة لإعادة تشكيل يونس ليصبح من المصطفين الأخيار.

المطلب الخامس: دراسة مقارنة وموازنة بلاغية بين السور الثلاث.

من خلال استقراء الآيات في السور الثلاث، يمكن صياغة أوجه المفارقات والموازنات البلاغية على النحو التالي:

سورة الأنبياء: تركز على الموقف النفسي ليونس عليه السلام (الندم والتوبة) بآيات قصيرة ومركزة دون تفاصيل عن القصة، بما يناسب السياق العام للسورة الذي يبرز دعاء الأنبياء واستجابة الله لهم، وسورة الأنبياء تتميز بأسلوب التركيز والاختزال إذ استخدام وصف «ذو النون» بدلاً من اسم يونس يشير إلى لقبه المرتبط بالقصة، مما يثير الفضول لدى القارئ، ومن حيث التصوير الفني فقد رسمت سورة الأنبياء في تعبير «في الظلمات» صورة مركبة تشمل:

(١) تفسير ابن عاشور ٢٩/ ١٠٥.

(٢) انظر: الكشاف مع حاشية الطيبي ١٥/ ٦٠٢، وتفسير البيضاوي ٥/ ٢٣٧.

(٣) تفسير ابن عاشور ٢٩/ ١٠٧.

(٤) انظر: ابن جزي، أبو القاسم، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: د.عبد الله الخالدي، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ، ٢/ ٤٠٣، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط (في التفسير)، (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠ م) ١٠/ ٢٤٩.

(٥) بتصرف من: تفسير ابن عاشور ٢٩/ ١٠٦.

(٦) البقاعي، نظم الدرر ٢٠/ ٣٣٣.

ظلمــة: الليــل، وبطن الحوت، والبحر، ممــا يعكس إحاطة الكرب بيونس مــن كل جانب، ومن حيث العلاقة بالزمان والمكان فهما مغيبان في ســورة الأنبياء، فالتركيز فيها على اســتجابة الله لدعاء يونس، مما يعكس شمولية القصة لكل زمان ومكان. ومن حيث الغاية البلاغية فسورة الأنبياء تعنى بإبــراز أهمية الدعاء والاســتغفار، وتأكيد أن الله ينجي المؤمنين مهما كانت شــدتهم، والقصــة تخــدم فكرة الســورة العامة عــن رحمة الله وعنايتــه بأنبيائه. ومن حيث التعبير عــن النجاة فقد ركزت سورة الأنبياء في قوله تعالى ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ ﴾ [الأنبياء: ٨٨] على سرعة اســتجابة الله للدعاء ورفع الكرب، بما يتناسب مع سياق السورة الذي يؤكد رحمة الله بالمؤمنين، واستخدمت كلمة «الغم» للإشارة إلى الكرب الشديد، مع إضفاء الطابع النفسي.

سورة الصافات: تعنى بأســلوب التسلســل والتفصــيل، مع تصــوير حركي للحظات المحنة، والآيات: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾ باستخدام الأفعال المتتابعة «ســاهم»، «كان»، «التقمه الحوت» تصور الأحداث كأنها مشهد حي ومتحرك، وكلمة «المدحضين» (الخاسرين) تعكس ببلاغة الهزيمة في القرعة، مما يمهد للابتلاء التالي، والتركيز على تفاصيل الحركة (الالتقام) والحالة النفســية ليونس ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ يضــيف عمقاً درامياً، ومن حيث العلاقة بالزمان والمكان فالزمن في سورة الصافات حاضر بقوة في ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ مما يبرز خطورة الموقف، والمكان مُصــور بتفصــيل: البحر، بطن الحوت، العراء، مما يجعل القصــة أكثر حيوية، ومن حيث الغاية البلاغية فترى في ســورة الصــافات التركيز على أهمية التســبيح في النجاة من الكرب، وإبراز عناية الله بأنبيائه حتى بعد وقوع الأخطاء، والقصــة تتناغم مع غرض الســورة في تســليط الضــوء على عــظمة الله وأفضــاله، ومــن حيث الــتعبير عــن الــنجاة فالآيات: ﴿فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦﴾ [الصــافات: ١٤٥-١٤٦]. تصور النجاة بحركة حية عبر فعل «نبذناه»، الذي يوحي بالقدرة الإلهية، مع إضافة التفاصيل عن حالة الضعف (سقيم) والعناية الإلهية عبر «شجرة من يقطين».

ســورة القلم: اتبعت أســلوب التحذيــر والإيجاز، والآيــة: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨﴾ [ســورة القلم:٤٨] تشــير إلى القصة بإيجاز شــديد في م رض تحذير النبي ﷺ من الوقوع فيما وقع فيه أخوه يونس، مع التركيز على مشهد الدعاء والحالة النفسية ليونس، ومن حيث التصــوير الفني فســورة القلم تصور الحالة النفسية، حيث كلمة «مكظوم» غنية بالدلالات؛ تُختزل فيها معاناة يونس النفســية، وهي ترمز إلى الاختناق والضــيق النفســي معاً ليشــمل ضيقاً داخلياً وخارجياً، مما يعكس شــدة البلاء، وغياب التصــوير الحركي يركز على الموعظة المســتفادة من القصــة، مما يناســب سياق الســورة، والزمان والمكان في ســورة القلم مبهَمان، حيث الهدف هو توجيه النبي ﷺ لتجنب استعجال النتائج مثلما حدث مع يونس، والغاية البلاغية في سورة القلم: هي تحذير النبي محمد ﷺ من الوقوع في اســتعجال النصــر، وربطه بالصــبر والثبات، والقصة

تُوظف كعبرة تربوية تخدم السياق الجدلي للسورة، ومن حيث التعبير عن النجاة في سورة القلم فالآية: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾ [القلم: ٤٩] تبرز النجاة كنعمة خاصة من الله، مع الإشارة إلى العقوبة المحتملة لو لم يتداركه لطف الله، وكلمة «مذموم» تضيف بعداً تحذيرياً يتناسب مع سياق السورة.

المطلب السادس: موازنة بلاغية ودلالية بين لقبي: (ذو النون) و(صاحب الحوت)

ذُكر نبي الله يونس عليه السلام باسمه العلم وبألقاب إضافية، حيث ذكر باسمه العلم في سورتي: يونس والصافات وغيرهما، ولقب بـ «ذو النون» في سورة الأنبياء، وبـ«صاحب الحوت» في سورة القلم، وكل لقب يحمل وراءه أغراضاً بلاغية دقيقة تتسق مع سياق السورة وموضوعها الأساسي، والتنقل بين اللقبين في سورتي الأنبياء والقلم يعكس قمة الإعجاز القرآني في اختيار اللفظ المناسب للسياق.

١. بلاغة الإيجاز والاختزال:

هذان الوصفان يحملان من بلاغة الإيجاز والإشارة الرمزية ما يوجز القصة بأكملها في لقبين اثنين بما يناسب السورتين وسياقيهما، ويربطان اسم يونس مباشرة بالحدث العظيم الذي هو الابتلاء في بطن الحوت، وهو أكثر ما اشتهر به يونس عليه السلام.

٢. الفرق اللغوي والبلاغي بين «ذو» و«صاحب»

تُشير المعجمات البلاغية والدراسات القرآنية إلى فروق دقيقة بين الكلمتين؛ حيث إن لفظة «صاحب» غالباً ما تُستعمل للتعبير عن علاقة الأدنى نحو الأعلى (مثل: صاحب رسول الله)، أو للتعبير عن مجرد المصاحبة المادية والارتباط المؤقت بالحالة أو المكان، أما لفظة «ذو» فهي على العكس، تُستعمل لإفادة الاختصاص الملكي اللصيق والسيادة، وغالباً ما تُستعمل من الأعلى نحو الأدنى (مثل: ذو الجلال، ذو النون)[١]، وبناءً على ذلك، فإن اختيار صيغة «ذو النون» بدلاً من «صاحب الحوت» في سورة الأنبياء يضيف لمسة من التخصيص والملكية، ويبرز العلاقة الخاصة بين يونس والحوت كجزء من هويته وتجربته، ويحمل هذا الوصف طابعاً تكريمياً ليونس عليه السلام، ليتلاءم مع سياق السورة التي تركز على ذكر الأنبياء كقدوات وذكر استجابة الله لهم، ووصفه بـ «ذو النون» يوحي بالعلاقة المباشرة بين الابتلاء ورجوعه إلى الله، وأما استخدام صيغة «صاحب الحوت» في سورة القلم فيشير إلى تجربة خاصة تعرض لها يونس بصفته فرداً واجه محنة عظيمة، ويركز على دور الحوت كعامل في القصة ليتناسب مع سياق السورة الذي يهدف

(١) انظر (بتصرف): أبو القاسم السهيلي، التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، تحقيق: مروان العطية، الخزانة الأندلسية، ٣٢٤، بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م)، ٢٧٧/٤، وأبو زيد الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ) ٩٧/٤، وأبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ٤٦٠.

إلى توجيه النبي محمد ﷺ للصبر وعدم استعجال النصر كما استعجل يونس.

ففي وصف «ذو النون» تكريم وتشريف يبرز معجزة الحوت، ويوحي بعلاقة يونس بمعجزة رحمة الله ليناسب سياق سورة الأنبياء الذي يبرز استجابة الله للأنبياء، وفي وصف «صاحب الحوت» تذكير بالعبرة والتحذير من استعجال الأمور، ويوحي بالعلاقة مع الابتلاء ودلالاته النفسية ليناسب سياق سورة القلم الذي يدعو إلى الصبر والتحذير من العجلة، فوصف يونس بـ «ذو النون» و«صاحب الحوت» ليس تكراراً عادياً، بل يحمل تنوعاً بلاغياً دقيقاً يعكس إعجاز القرآن في اختيار اللفظ المناسب لأهداف السور وسياقاتها.

٣. التوجيه الصوتي والبياني لعدم الالتباس:

ثمة نكتة صوتية وبلاغية فائقة في اختيار «صاحب الحوت» في سورة القلم تحديداً؛ فالسورة تفتتح بحرف هجائي مقطع هو النون: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ [سورة القلم:١] فلو قال النظم في أواخر السورة «ولا تكن كذي النون»، لربما توهم السامع وجود صلة مباشرة بين الحرف المقطع في الفاتحة وبين لقب النبي يونس عليه السلام؛ لذا عَدَل النظم القرآني عن ذلك إلى «صاحب الحوت» لقطع أي لبس وتوجيه الذهن إلى جوهر العظة والابتلاء.

الخاتمة ونتائج البحث

بعد هذه الجولة التحليلية البلاغية في آيات محنة يونس عليه السلام وحسن عاقبته، خلص البحث إلى النتائج التالية:

١. أثبت البحث أن التغاير اللفظي والأسلوبي بين مواضع قصة يونس في القرآن الكريم ليس تكراراً عادياً، بل هو تنوع بلاغي دقيق خاضع للمقاصد العامة لكل سورة وسياقها.

٢. أبرزت سورة الأنبياء سرعة الاستجابة الإلهية للدعاء الخالص كقاعدة ممتدة للمؤمنين كافة، في حين صوّرت سورة الصافات الحركة التفصيلية للمحنة وعظمة الرعاية الإلهية باليقطين، بينما ركزت سورة القلم على البعد النفسي (الكظم) ليكون موعظة في الصبر.

٣. أظهرت الموازنة بين لقبي «ذو النون» و «صاحب الحوت» دقة مذهلة؛ إذ استُعمل الأول في موضع التشريف والثناء والقدوة، واستُعمل الثاني في موضع التحذير والتربية التحذيرية من العجلة.

٤. تؤكد القصة بجميع سياقاتها على حقيقة ثابتة: أن الانكسار والاعتراف بالذنب والتسبيح الخالص هو المفتاح الرباني لتحويل المحن إلى منح، وبلوغ حسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن جزي، أبو القاسم (ت ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل (تفسير ابن جزي)، تحقيق: د.عبد الله الخالدي، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ.

ابن عاشور، محمد الطاهر (ت١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

ابن عثيمين، محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم: سورة الصافات، الرياض: دار الثريا، ٢٠٠٣م.

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، البحر المحيط (في التفسير)، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠م.

الأصفهاني، الراغب (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق: دار القلم، ١٤١٢ هـ.

الألوسي، شهاب الدين محمود (ت ١٢٧٠ هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي)، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

البقاعي، برهان الدين (ت ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٨٤م.

البيضاوي، ناصر الدين (ت ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي). تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

الثعالبي، أبو زيد (ت٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

درويش، محيي الدين (ت ١٤٠٣ هـ)، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دمشق: دار الإرشاد، ١٤١٥ هـ.

الدينوري، ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م.

الرازي، فخر الدين (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

الزركشي، بدر الدين (ت٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل

إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م.

الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (مع حاشية الطيبي، شرف الدين الحسين (ت ٧٤٣ هـ)، دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ٢٠١٣ م.

السهيلي، أبو القاسم، التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، تحقيق: مروان العطية، الخزانة الأندلسية.

الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الريـ ض: دار عطاءات العلم، ٢٠١٩م.

الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة: دار هجر، ٢٠٠١ م.

الكفـوي، أبـو البقاء (ت١٠٩٤هـ)، الكليات (معجم في المصـطلحات والفـروق اللغوية)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة.

النابلسي، محمد راتب، قصة سيدنا يونس والحوت تثبت دقة القرآن وعظمته (محاضرة في تفسير سورة الصافات)، الرابط: https://share.google/9Nky7x4nOybGfpQjb